إلقام الحجر
لمن زكّى سبّ أبي بكر وعمر

للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي

المتوفى سنة ٩١١ هـ

تحقيق

أحمد فريد المزيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بالمؤلف جلال الدين السيوطي

هو الشيخ العلامة الحافظ جلال الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر كمال الدين بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين بن سيف الدين خضر بن نجم الدين بن أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي.

وأما نسبته بالخضيري: فقد تحدث هو عنها في ترجمته لنفسه، إذ يقول: «وأما نسبتنا بالخضيري فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة إلا الخضيرية محلة ببغداد، وقد حدثني من أثق به أنه سمع والدي رحمه الله تعالى يذكر أن جده الأعلى كان أعجميًا أو من الشرق، الظاهر أن النسبة إلى المحلة المذكورة».

وقد كان مولده رحمه الله بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة ٨٤٩هـ. وسماه والده بعد أسبوع من ولادته: عبد الرحمن، ولقبه جلال الدين، وكان يلقب كذلك بابن الكتب؛ لأن أباه كان من أهل العلم، واحتاج إلى مطالعة كتاب، فأمر أمه أن تأتيه بالكتاب من بين كتبه، فذهبت لتأتي به، فجاءها المخاض وهي بين الكتب، فوضعته.

وكناه شيخه قاضي القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني (المتوفى ٨٧٦ هـ) لما عرض عليه، وقال له: ما كنيتك؟ فقال: لا كنية لي. فقال: أبو الفضل، وكتبه بخطه.

وقد كانت وفاة السيوطي رحمه الله تعالى بعد حياة عامرة بالعلم والإيمان والزهد والورع والتقوى والتأليف والتصنيف والمراجعة. في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر من جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ في منزله بروضة المقياس، بعد أن أصيب سبعة أيام بورم شديد في ذراعه اليسرى، وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يومًا، وكان له مشهد عظيم، ودفن بالقاهرة في حوش قيصون

خارج باب القرافة، المعروفة الآن ببوابة السيدة عائشة.

نشأته وعلمه:

نشأ جلال الدين السيوطي نشأة علمية منذ نعومة أظفاره، فقد كان والده أحرص ما يكون على أن يوجهه وجهة سديدة صالحة، فكان يحفظه القرآن الكريم في صغره، ويصحبه معه في مختلف مجالسه العلمية والقضائية.

وقد ولد السيوطي ونشأ في أسرة انقطع معظم رجالها لطلب العلم والاشتغال بالتعليم، وحدث هو بذلك فقال: «... أما جدي الأعلى همام الدين فكان من أهل الحقيقة ومن مشايخ الطرق ومن دونه كانوا من أهل الوجاهة والرياسة منهم من ولي الحكم ببلده، ومنهم من ولي الحسبة بها، ومنهم من كان تاجرًا في صحبة الأمير شيخون، وبنى بأسيوط مدرسة، ووقف عليها أوقافًا». ويقول عن والده: «إنه خدم العلم حق الخدمة».

فوالد السيوطي هذا كان عالمًا، وقد عرف بكمال الدين، وترجم له السيوطي فقال عنه: «والدي العلامة كمال الدين أبو المناقب المولود في أوائل القرن التاسع.. وكان نابهًا ذا عفة وعلم ودين ومكانة، فلقد تولى القضاء بأسيوط وهو في العشرينات من عمره، ثم تركها ووفد إلى القاهرة ولزم الشيخ الغاياتي، فأخذ عنه الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمنطق والمعاني، وأجازه بالتدريس وهو دون التاسعة والعشرين، كما جلس إلى شيخ الإسلام ابن حجر وأخذ عنه علم الحديث، وقرأ القرآن تجويدًا على الشيخ الجيلاني ونبغ في الإنشاء، وبلغ في صناعة التوقيع مبلغًا عظيمًا، وجلس لتدريس الفقه بالجامع الشيخوني الذي لم يكن يطمح إلى التدريس فيه إلا كل من اكتملت له أسباب التعمق في العلم والتمكن فيه، وخطب الجمعة بجامع أحمد بن طولون، وكان عزيز النفس، فقد رفض تولي القضاء شأنه في ذلك شأن كثير من الأئمة.

ولقد شرع السيوطي في حفظ القرآن في سن مبكرة، وأتم حفظه، وهو دون الثامنة.

وإذا كان المولى عز وجل قد اختار والده إلى جواره، والسيوطي لم يزل في سن

الطفولة المبكرة، فإن الله عز وجل عوضه عن والده مربيًا فاضلاً وإمامًا جليلاً، من بين الأوصياء عليه، هو العلامة المفضال كمال الدين بن الهمام الحنفي (المتوفى ٨٦١هـ) صاحب فتح القدير، ومدرس الفقه بالمدرسة الشيخونية، فلحظه بنظره ورعايته، وكمال الدين هذا كان علامة في علوم القرآن والأصول والنحو والتصريف والمعاني والبيان والتصوف، وصاحب مصنفات نفيسة وعديدة.

والإمام السيوطي يذكره بالحمد والفخر فيقول: «.. كان حسن اللقاء والسمت والبشر والبزة، طيب النعمة، مع الوقار والهيبة والتواضع والإنصاف، والمحاسن الجمة... وكان أحد الأوصياء علي».

فقد نشأ السيوطي نشأة دينية وفي جو علمي فريد، حتى أنه شرع في التأليف في مرحلة مبكرة من حياته، وأخذ العلم عن جلة علماء عصره، وسافر من أجل العلم إلى مراكز العلم المختلفة آنذاك، ولندع الإمام السيوطي يتحدث عن نفسه في ترجمته من كتاب «حسن المحاضرة».

فنراه يقول:«... نشأت يتيمًا، فحفظت القرآن ولي دون الثمان، وشرعت في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين، وأجزت بتدريس العربية في مستهل سنة أربع وستين، وقد ألفت في هذه السنة، فكان أول شيء ألفته: «شرح الاستعاذة والبسملة» ولازمت في الفقه شيخ الإسلام علم الدين البلقيني، وشيخ الإسلام شرف الدين المناوي.

ولزمت في الحديث والعربية شيخنا الإمام تقي الدين الشلبي، فواظبته أربع سنين، ولم أنفك عنه إلى أن مات.

ولزمت شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي، فأخذت عنه الفنون، وكتب لي إجازة عظيمة.

وسافرت بحمد الله إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والمغرب والتكرور، وافتيت من مستهل سنة إحدى وسبعين.

ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع على طريق العرب البلغاء، لا على طريق العجم وأهل الفلسفة، والذي

أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليه لم يصل إليه، ولا وقف عليه أحد من أشياخي، فضلاً عمن هو دونهم.

وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه، بل شيخي فيه أوسع نظرًا، وأطول باعًا، ودون هذه السبعة في المعرفة: أصول الفقه والجدل، والتصريف ومنها الإنشاء، والترسل، والفرائض.

وأما علم الحساب فهو أعسر شيء علي، وأبعده عن ذهني، وإذا نظرت في مسألة تتعلق به، فكأنما أحال جبلاً حمله، وقد كملت عندي آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى، أقول ذلك تحدثًا بنعمة الله تعالى لا فخرًا، وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها في الفخر، وقد أزف الرحيل، وبدأ الشيب، وذهب أطيب العمر.

ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفًا بأقوالها، وأدلتها النقلية، والقياسية، ومداركها، ونقوضها، وأجوبتها، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها؛ لقدرت على ذلك من فضل الله، لا بحولي ولا بقوتي، فلا حول إلا بالله، ما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، وقد كنت في مبادئ الطلب، قرأت شيئًا في علم المنطق، ثم ألقى كراهية في قلبي، وسمعت أن ابن الصلاح، أفتى بتحريمه، فتركته لذلك، فعوضني الله تعالى عنه علم الحديث الذي هو أشرف العلوم..

ولعله من خلال هذه الترجمة التي ترجمها السيوطي لنفسه من كتابه حسن المحاضرة، يتبين لنا إلى أي مدى كان السيوطي صبورًا في تحصيل العلوم المختلفة، وإلى أي مدى كان موسوعيًا وملمًا بكل ثقافات العصر على تنوعها، فكان بحق فريد عصره، وحافظته بل خاتمة الحفاظ الذين حفظوا لنا تراث هذه الأمة العريق.

وتذكر التراجم عددًا هائلاً من الشيوخ تتلمذ السيوطي على أيديهم وأخذ العلم عنهم، وتشير إلى معارفه، وتؤكد ما جاء في ترجمته لنفسه، فهو بعد أن أتم حفظ القرآن العظيم وختمه «.. حفظ عمدة الأحكام ومنهاج النووي وألفية ابن مالك ومنهاج البيضاوي، وعرض الثلاثة الأولى على مشايخ الإسلام العلم البلقيني، والشرف المناوي، والعز الحنبلي، وشيخ الشيوخ الأقصرائي وغيرهم، وأجازوه، وحضر مجالس الجلال المحلي كاملة يومين في الجمعة، وحضر مجلس زين الدين رضوان العقبي..

وشرع في الاشتغال بالعلم من ابتداء ربيع الأول سنة أربع وستين وثمانمائة، فقرأ على الشيخ شمس الدين محمد بن موسى صحيح مسلم إلا قليلاً والشفاء وألفية بن مالك.. وقرأ قطعة من التسهيل.. والتوضيح وشرح الشذور والمغني في أصول فقه الحنفية.. وقرأ على الشيخ الإمام الصالح شمس الدين محمد بن الشيخ سعد الدين بن سعد، وقرأ الكافية لابن الحاجب وشرحها للمصنف، ومقدمة إيساغوجي في المنطق، وقطعة من كتاب سيبويه وقرأ في الفرائض والحساب على علامة زمانه شهاب الدين أحمد بن علي الشارمساحي والشيخ صالح البلقيني وسيف الدين محمد بن محمد الحنفي،وسمع عليه دروسًا من الكشاف وغير ذلك.

وقرأ على قاضي القضاة العز أحمد بن إبراهيم الكناني قطعة من جمع الجوامع للسبكي.. وقرأ في الميقات على الشيخ مجد الدين إسماعيل بن السباع، وقرأ في الطب على محمد بن إبراهيم الدواني وكان قد قدم عليهم القاهرة من الروم، وحضر عن الشيخ تقي الدين أبي بكر بن شادي الحصفكي دروسًا كثيرة، وقرأ على الشيخ شمس الدين البابي دروسًا من المنهاج من كتاب الخراج».

وذكر العيدروسي: «.. أنه عرض حفظه وهو دون البلوغ على مشايخ عصره، وأحضره والده مجلس شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر، وحضر وهو صغير مجلس الشيخ المحدث زين رضوان العقبي، ودرس الشيخ سراج الدين عمر الوردي، ثم اشتغل بالعلم على عدة مشايخ، وحج سنة تسع وستين وثمانمائة، وشرب من ماء زمزم لأمور منها: أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر».

وهناك عدد وفير من العلماء غير هؤلاء الذين ذكرتهم المصادر السابقة، منهم من أخذ عنهم العلم، والبعض أعطوه إجازات، فقد أجاز له من حلب جماعة وسافر لطلب العلم إلى الفيوم والإسكندرية ودمياط والمحلة ونحوها، ثم إلى مكة وأخذ عن علمائها وأذن له غير واحد في الإجازة والتدريس، أضف إلى ذلك أن السيوطي درس المذاهب الفقهية المختلفة، فهو قد أخذ عن علماء المالكية والحنابلة والأحناف فضلاً عن أنه كان شافعيًا.

وقد توفرت للسيوطي وسيلة أخرى غير الوسائل السابقة من طرق المعرفة والبحث والدرس، فلم يترك كتابًا من كتب المراجع الكبرى إلا وقد درسه فهمًا واستظهارًا، وإن من يطالع كتبه ومصنفاته، يقع ناظراه على أسماء مئات الكتب ذوات الفنون المتعددة التي قرأها على مشايخه فضلاً عما كان يقرأ، بنفسه لنفسه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فقد لزم السيوطي منذ نعومة أظفاره مكتبة محمود الاستادار التي كانت تعرف بالمكتبة المحمودية، والتي يرجع تاريخ إنشائها إلى سنة ٧٩٧هـ. وكانت حسب وصف المقريزي لها «تحوي من الكتب الإسلامية ما يدخل تحت كل فن..».

ومما زاد من قيمة هذه المكتبة أن عالمًا جليلاً هو شيخ الإسلام ابن حجر كان يرعى شأنها ويهتم بها، وكان بها أربعة آلاف مجلد، وقد أعد لها فهرسًا دقيقًا. وقال عنها: إن الكتب التي بها -وهي كثيرة جدًا- من أنفس الكتب الموجودة الآن بالقاهرة، وهي من جمع البرهان بن جماعة، واشتراها محمود الاستادار من تركته بعد موته، وكان صفوة علماء الزمان يستعيرون كتب هذه المكتبة من أمثال العلم البلقيني والشرف المناوي، وهما من أساتذة السيوطي، وإن الأمر الذي يلفت النظر أن السيوطي لم يكتف بملازمة هذه المكتبة، وإنما بلغ من اهتمامه بمحتوياتها ما جعله يتوفر على كتبها جميعًا وينشئ لها فهارس منظمة جمعها في كراسة أطلق عليها «بذل المجهود في خزانة محمود».

ولقد باشر السيوطي الوظائف الهامة في عصره، فقام بتدريس الفقه بالمدرسة الشيخونية الذي لم تنقطع عنه وظيفته منذ وفاة أبيه، وكان تعيينه هناك بسفارة شيخه العلم البلقيني سنة ٨٧٢هـ الذي سبق أن أجاز له بالتدريس.

بيد أن عمله لم يقتصر فقط على التدريس بالشيخونية بل تصدى للإفتاء وإملاء الحديث بجامع أحمد بن طولون، وتولى أيضًا مشيخة التصويف بتربة برقوق نائب الشام التي توجد الآن بصحراء قايتباي، وذلك بسفارة أحد أقاربه وهو أبو الطيب السيوطي.

وفي سنة ٨٩١هـ انتقل إلى مشيخة الخانقاة البيبرسية وكانت تعد حينذاك من

أكبر خوانق القاهرة، وأوسعها أوقافًا وقد تم له ذلك بسفارة الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز العباسي، حيث أعانته تلك الوظيفة على التفرغ للكتابة والتأليف.

وفي سنة ٩٠٢هـ عهد إليه الخليفة المتوكل بوظيفة لم يسمع بمثلها قط، وهي أن جعله على القضاة قاضيًا كبيرًا، يولي منهم من يشاء ويعزل من يشاء مطلقًا في سائر ممالك الإسلام.

شيوخ السيوطي:

لقد عاش السيوطي في عصر كثر فيه العلماء الأعلام الذين نبغوا في شتى العلوم على تعدد ميادينها، من علوم دينية ولغوية بمختلف فروعها، فأخذ العلم عن ستمائة شيخ كما ذكر الشعراني في طبقاته والذي في ترجمته من حسن المحاضرة، وذكره تلميذه الداودي في ترجمته ونحوه في شذرات الذهب أنهم بلغوا مائة وخمسين. ورتبهم الداودي على حروف المعجم.

ولا غرابة في ذلك، فإن السيوطي يذكر أنه تتلمذ في علم الحديث وحده على نحو مائة وخمسين شيخًا من النابهين في علم الحديث الشريف، ولم يكتف بمجرد ذكرهم، وإنما أحصاهم وترجم لهم وخصهم بواحد من كتبه الكثيرة جعل عنوانه «حاطب ليل أو جارف سيل».

فمن أبرز هؤلاء الشيوخ الذين لازمهم جلال الدين السيوطي أكبر مدة من الزمن.

١- كمال الدين بن الهمام (المتوفى ٨٦١هـ. كان علامة في علوم القرآن والفقه والأصول والنحو والتصريف والمعاني والبيان، وقام بتدريس الفقه في كثير من معاهد القاهرة ومدارسها، وصاحب مؤلفات عديدة. انظر ترجمته في بغية الوعاة ١/ ١٦٧).

٢- جلال الدين المحلي، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الشافعي (المتوفى ٨٦٤هـ. اشتغل وبرع في الفنون فقهًا وكلامًا وأصولاً ونحوًا ومنطقًا وغير ذلك. قال عنه السيوطي: «كان غرة هذا العصر في سلوك طريق السلف» (انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢٥٣/١ والضوء اللامع ٣٩/٧ - ٤٠ وطبقات المفسرين للداودي

٨١/٢) ذكر ذلك في بغية الوعاة ٢٥٣/١ والكواكب السائرة ٢٦٦/١ وشذرات الذهب ٥٢/٨.

٣- شرف الدين المناوي (المتوفى ٨٧١هـ). هو شيخ الإسلام ولزم السيوطي درسه، فقرأ عليه الكثير من شرح المنهجة للعراقي، ومن تفسير البيضاوي وغيره، ولزمه إلى أن مات. انظر ترجمته في حسن المحاضرة ٣٧٥/١ والكواكب السائرة ١/ ٢٢٧) ذكر ذلك في حسن المحاضرة ٢٧١/١ والكواكب السائرة ٢٢٧/١.

٤- تقي الدين الشمني، الحنفي (المتوفى ٨٧٢هـ). لزمه السيوطي أربع سنوات في الحديث والعربية، وسمع عليه المطول والتوضيح والمغني وحاشيته عليه وشرح العقائد للتفتازاني، وقرأ عليه الحديث كثيرًا، ومن علومه شرحه على نظم النخبة لوالده) انظر ترجمته في حسن المحاضرة ٢٧١/١ وبغية الوعاة ٣٧٥/١ والكواكب السائرة ١/ ٢٢٧) ذكر ذلك في حسن المحاضرة ٢٧١/١ والكواكب السائرة ٢٢٧/١.

٥- أحمد بن إبراهيم بن نصر، الكناني العسقلاني المصري المولد، المعروف بالعز الحنبلي (المتوفى ٨٧٦هـ). قال عنه السيوطي: شيخنا، وسعى إلى أن بلغ العلا لماً كلَّ غيره ووقف، ولي قضاء الحنابلة بالديار المصرية ودرس للحنابلة بغالب مدارس البلد، وله تعاليق وتصانيف ومسودات كثيرة في الفقه وأصوله والحديث والعربية والتاريخ وغير ذلك) (انظر ترجمته في حسن المحاضرة ٤٨٤/١) ذكر ذلك في الضوء اللامع ٦٦/٤ والكواكب السائرة ٢٢٧/١.

٦- العلامة محي الدين، الكافيجي (٨٧٩هـ، قال عنه السيوطي: شيخنا أستاذ الدنيا في المعقولات، ولزمته أربع عشرة سنة فما جئته من مرة إلا وسمعت منه من التحقيقات والعجائب ما لم أسمعه من قبل ذلك. انظر ترجمته في حسن المحاضرة ١/ ٥٤٩ وبغية الوعاة ٣٧٧/١) ذكر ذلك في الكواكب السائرة ٢٢٧/١ وحسن المحاضرة ٥٤٩/١.

٧- عبد القادر بن أبي القاسم بن عبد المعطي الأنصاري السعدي العبادي، قاضي قضاة مكة (المتوفى ٨٨٠هـ). كان أحد الشيوخ المرموقين الذين جلسوا على رأس حلقة علمية كبيرة في البيت الحرام، وهو من بيت علم وفضل، وكان حجة في

التفسير، وثقة في الحديث، ومالكًا زمام الفقه على مذهب الإمام مالك، أما علوم النحو فكانت ميدانه الذي لا يبارى، وتصدر هذا الشيخ بمكة الإفتاء وتدريس الفقه والتفسير، وعلوم العربية، وولي قضاء المالكية، وكان للسيوطي به صلة علمية خاصة، ذلك أنه لم يتردد حين زار مكة على أحد غيره، وإنه كتب على شرحه للألفية تقريظًا بليغًا، كما قرأ عليه جزءًا من الأمالي لابن عفان).

(انظر ترجمته في بغية الوعاة ١٠٤/٢) ذكر ذلك في بغية الوعاة ١٠٤/٢.

٨- الشيخ سيف الدين الحنفي، محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمري (المتوفى ٨٨١هـ) هو علامة الورع الزاهد العابد، محقق الديار المصرية، مع ما هو عليه من سلوك طريق السلف والعبادة والخير، وعدم التردد إلى أحد مدة عمره، ولم ير مثله تورعًا، وولي التدريس بأماكن منها تدريس التفسير بالمنصورية، وآخر ما تولى مشيخة المؤيدية، ثم الشيخونية، وله حاشية على التوضيح كثيرة الفوائد، وهو آخر شيوخ السيوطي موتًا. (انظر ترجمته في حسن المحاضرة ٤٧٨/١) ذكر ذلك في شذرات الذهب ٥٢/٨ والكواكب السائرة ٢٢٧/١ وحسن المحاضرة ٤٧٨/١ وبدائع الزهور ٤١٨/٢.

هذا ولم يقتصر السيوطي على الأخذ من الرجال، بل أخذ العلم كذلك عن عدد من النسوة اللائي اشتهرن بالعلم والصلاح في ذلك العصر وقال الكتاني: «أخذ السيوطي العلم عن اثنتي عشرة امرأة».

فمن العالمات المعاصرات:

١- زينب بنت شيخ الإسلام الحافظ عبد الرحيم العراقي، فقد كانت من محدثات الديار المصرية. توفيت سنة ٨٥٦هـ.

٢- عائشة بنت عبد الهادي، وهي من العالمات المعاصرات للسيوطي الجليلات والمحدثات الثقات، ولقد كانت ممن سمع عليهم الأقصرائي، وأخذ عنهم الحديث، وكانت ممن أجازوه، وسمحوا له بالجلوس لإملاء حديث رسول الله ﷺ. توفيت سنة ٨٨٠هـ.

٣- أم الهنا المصرية، وهي من المحدثات المعاصرات للسيوطي، بنت القاضي

ناصر الدين محمد البدراني المصرية، وهي قد وصفت بالشيخة المباركة الصالحة، وكانت فاضلة ولها رواية في الحديث.

وتوفيت قبل السيوطي بيوم واحد سنة ٩١١هـ.

أما شيخات السيوطي من النساء فمنهن:

- أمة الخالق المكناة بأم الخير بنت عبد اللطيف العقبي، وهي شيخة عالمة محدثة. وقد جاء ذكرها حسبما جاء في الأحاديث المنتقاة من الطبقات الكبرى الملحق بكتاب بغية الوعاة. توفيت سنة ٩٠٢هـ.

- كمالية بنت محمد بن أبي المرجاني، وهي محدثة ثقة صالحة.

- رقية بنت عبد القوي بن محمد الجاوي.

- أمة العزيز بنت محمد الأنباسي: وغيرهن وكلهن محدثات ثقات صالحات.

ولقد أحسن السيوطي اختيار أساتذته، فنهل منهم الكثير والكثير، وأطال الجلوس إليهم، وقد رحل إلى من اقتنع بفضلهم، وبعد عن الديار، فكان له في نهاية أمره تلك المكانة العلمية المشهورة والملموسة وذلك المقام السامي المعهود.

تلاميذ السيوطي:

وإذا كان السيوطي رحمه الله تعالى قد تتلمذ على حشد كبير من أئمة الشيوخ الأجلاء مما كان له أثر كبير في حياته العلمية حتى أصبح حجة في علوم الدين واللغة وإمامًا حافظًا جليلاً، فكذلك تخرج بالسيوطي جمع كثير من الأئمة الأعلام الذين تتلمذوا على يديه ونهلوا من معينه الصالح فمن هؤلاء:

١- الشامي، شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الشامي الصالحي الدمشقي، وهو إمام حافظ محدث الديار المصرية مسند، وقد نزل برقوقية الصحراء خارج باب النصر بمصر، وهو من أجل تلاميذ جلال الدين السيوطي (توفي سنة ٩٤٢هـ. انظر ترجمته في شذرات الذهب وفهرس الفهارس ٢/٣٩٢- ٣٩٣).

٢- الداودي، وهو الحافظ شمس الدين محمد الداودي المصري الشافعي، وقيل المالكي العلامة المحدث الحافظ، كان شيخ أهل الحديث في عصره، أثنى عليه المسند جار الله بن فهد والبدر الغزي وغيرهما.

قال شمس محمد بن طولون: وضع ذيلاً على طبقات الشافعية للسبكي، وجمع ترجمة شيخه الحافظ السيوطي في مجلد ضخم، وله دليل على لب الألباب في الأنساب للسيوطي وطبقات المفسرين. (توفي سنة ٩٤٥هـ. انظر ترجمته في شذرات الذهب ١٢٩/٨).

٣- ابن طولون، وهو شمس الدين محمد بن علي بن أحمد المدعو بابن خمارويه وبابن طولون الصالح الدمشقي، وهو إمام علامة محدث ومسند الشام ومفخرته وحافظته، وأخذ علم القراءات على مشيختها، وتلقى الحديث عن شيوخ ومسندين يبلغ عددهم خمسمائة، أعظمهم الحافظ السيوطي. (توفي سنة ٩٥٣هـ. انظر ترجمته في شذرات الذهب ٢٩٨/٨ وفهرس الفهارس ٣٥٥/١).

وقد كان لهؤلاء التلاميذ وغيرهم ممن تتلمذوا على السيوطي مكانة علمية عظيمة وقدموا للمكتبة الإسلامية عديدًا من المصنفات النافعة في جميع العلوم، وقد كانت كثرة تلاميذ السيوطي من أهم العوامل التي ساعدت على حفظ تراثه ونقله إلينا.

شعره:

لقد كان للسيوطي اهتمام بالشعر على الطريقة التقليدية، ويسلك فيه مسلك غيره من العلماء والشيوخ في عصره، وكثير من القصائد التي ترجمت له بين الجودة والتوسط، لكن أكثره متوسط وجيد، وغالبه في الفوائد العلمية والأحكام الشرعية.

ويبدو أكثر شعره في المديح والرثاء والإخوانيات.

ومن شعره ما قاله في مناسبات الرخاء الذي عم مصر سنة ٨٩٦هـ وفي مناسبة اجتماع وفاء النيل مع عيد الفطر، فصار العيد عيدين.

قال:

يـــوم عـــيد الفطـــر وافى بهـــناء وســـعادة
خـــتم الـــصوم ووافى النـــيل في أحـــسن عـــادة
يالـــه مـــن يـــوم عـــيد فـــيه حـــسنى وزيـــادة

وله أيضًا فيما يسن قبوله من الأشياء:

عن المصطفى سبع يسن قبولها إذا ما بها قد أتحف المرء خلان
فحلو وألبان ودهن وسادة ورزق لمحتاج وطيب وريحان

وله أيضًا في من كان يفتي من الصحابة زمن النبي ﷺ:

وقد كان في عصر النبي جماعة يقومون بالإفتاء قومة قانت
فأربعة أهل الخلافة منهم معاذٌ أبيٌّ وابنُ عوف ابن ثابت

ومن مراثيه مرثيته في شيخه سيف الدين محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا التركي القاهري المتوفي ٨٨١هـ الحنفي، وكان شيخ الخانقاه الشيخونية قبل أن يتولاها السيوطي:

مات سيف الدين منفردًا وغدا في اللحد منغمدا
عالم الدنيا وصالحها لم تزل أحواله رشدا
ناصر دين النبي إذا ما أتاه ملحد كمدا
ذا الذي قد كان من ورع لم يخلفه بعده أحدا
لم يكن في دينه وضر لا ولا للكبر منه ردا
عمره أفناه في نصب لإله العرش ملتحدا

وقال في موضع آخر يثني على أحد مصنفات مشايخه وهو «هداية السبيل في شرح التسهيل» لعبد القادر بن أبي القاسم بن عبد المعطي الأنصاري المتوفى ٨٨٠هـ.

من يرد يستفيد شرحًا على التسهيل قد حاز كل معنى جليل
فعليه بشرح قاضي القضاة الـ عالم الحبر فهو هادي سبيل
وهو بين الشروح كالبدر بين الـ أنجم الزهر وهو شافي الغليل

وقال في المقامة المكية:

يا راغبا في أربي وهائمًا في أدبي
وعالمًا بربيتي ورفعتي في الرتب

وسـامعًا فـوائدًا مـني تـريك منـصبي
كالبحـر لمـا أن همـا وهامـل مـن سُـحُبي
إن كـنت قـد رأيـت سـدرة مـن ذهـب
قـضيت مـني عجـبًا وأنـت أي معجـب
فـإن ذاك قطـرة مـن فـيض فـضل ربي
إني أبـو بـشر العُـلا بي في بـلاد العـربِ
قـد طـوحت يـد الـنوى بي في بـلاد العـربِ
فـنابني مـضائق تحـل في مغتـربِ
لكـنني أرجـو مـن الله انكـشاف الكـربِ

هذا وغير ذلك كثير تحفل به المصادر وكتب السيوطي.

وتذكر المصادر أن السيوطي صاحب ديوان في الشعر.

أقوال العلماء في السيوطي:

لقد حظي السيوطي عند كل من ترجم له بالثناء العطر والذكر الطيب، فهو عند ابن العماد: «... المسند المحقق المدقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة...».

وقال عنه الشيخ نجم الدين العربي: «الشيخ العلامة الإمام المحقق المدقق المسند الحافظ، شيخ الإسلام..».

وقد خلع عليه الشوكاني كل الصفات الطيبة والتمجيد فقال: «... رفع الله له من الذكر الحسن والثناء الجميل ما لم يكن لأحد من معاصريه والعاقبة للمتقين...».

وقال عنه الشعراني: «... شيخ الإسلام» وعده من أعلام الصوفية في القرن التاسع.

وقال عنه السخاوي: «... الفاضل جلال الدين أحد من أكثر التردد علي...».

أما العيدروسي فقال: «الشيخ العلامة الحافظ...».

وقال عنه صاحب بدائع الزهور: «نادرة في عصره، وبقية السلف، وعمدة الخلف».

وقد ذكر الشيخ عبد الغني النابلسي أنه: «الشيخ الإمام والعالم الهمام... صاحب التصانيف العديدة، والكتب المعتبرة المفيدة».

شخصيته وأخلاقه:

تمتع السيوطي بشخصية قوية، بجانب مكانته العلمية الفريدة، وهذه الشخصية جعلته يفرض نفسه على الساحة العربية الإسلامية، فقد كان نموذجًا للعالم المحافظ على كرامته، المترفع عن السعي وراء الحكام، غير المتهافت على ولائم السلاطين، بل المتعالي عليهم النافر منهم، وهو سلوك العالم المسلم الحق، الذي يقدر الأمور حق قدرها، ولا يخشى في الله لومة لائم.

فقد كان لا يأبه بالسلاطين ما لم يأبهوا هم بالعلماء وينزلونهم المنزلة التي تليق بعلمهم وفضلهم.

فمن ذلك أنه ذهب ذات مرة للقاء السلطان الأشرف قايتباي (المتوفى ٩٠١هـ)، وكان سلطانًا جليلاً، وقد كان أطول سلاطين المماليك، بقاء في الحكم، ورأى السيوطي أنه ينبغي أن يلاقي السلطان في الهيئة الكريمة التي يجمل بالعلماء أن يظهروا بها، فتوجه للقاء السلطان وعلى رأسه الطيلسان، غير أن القوم من الحكام لم يكونوا قد ألفوا هذا اللون من السلوك، فعوتب السيوطي على ذلك، ولكنه رفض اللوم، وأنشأ رسالة في تبرير سلوكه، أطلق عليها: «الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان».

ولم يقف الأمر بالسيوطي في هذه الحادثة عند هذا الحد، بل إنه حين شفي السلطان من مرض كان قد ألم به بعد ذلك، توجه العلماء لتهنئته بالشفاء ما عدا السيوطي الذي رفض مصاحبتهم، وامتنع عن لقاء السلطان، وعاد وأنشأ رسالة أخرى أسماها: «رواية الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين».

وقد كان السلطان الغوري (المتوفى ٩٢٢هـ) له مشاركة في الشعر والأدب والتاريخ، وقراءة السير، وله مجالس علم مشهورة عرفت بمجالس الغوري، ولقد حاول هذا السلطان أن يقرب السيوطي إليه وأن يعيده إلى سابق وظائفه، وأن يسترضيه مما لحق به من أذى في عهد سلفه، ولكنه أبى وآثر العزلة مع العلم، على الحياة مع السلطان.

وعرف عن السيوطي أنه كان يترفع عن قبول الهدايا، ولو كانت الهدية من السلطان نفسه، فقد أرسل إليه السلطان الغوري هدية تتألف من ألف دينار وخصي، فرد المال إلى السلطان، وقال لرسول السلطان: لا تعد تأتينا قط بهدية، فإن الله تعالى أغنانا عن مثل ذلك، وأما الخصي فإن السيوطي أعتقه وجعله خادمًا في الحجرة النبوية الشريفة.

وقد طلب السلطان السيوطي مرارًا ليمثل بين يديه، فلم يحضر إليه، فقيل له: «إن بعض الأولياء كان يتردد إلى الملوك والأمراء في حوائج الناس»، فقال: «اتباع السلف في عدم التردد عليهم أسلم»، وكان ذلك واحدًا من الأسباب التي جعلته يكتب رسالة: «ما رواه الأساطين في عدم التردد على السلاطين» بعنوان آخر هو: «رواية الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين». وقد نظمها السيوطي في منظومة لطيفة حافلة، وأضاف إليها بعض الزيادات.

تلك كانت علاقة السيوطي بالسلاطين والحكام الذين كانت في أيديهم مقاليد الأمور، فقد كانت علاقة سوية تدل على قدر السيوطي، ومدى احترامه لشخصه كعالم من علماء المسلمين.

ولقد كان للسيوطي حساد ونقاد من معاصريه وأقرانه، فكان يرد على هؤلاء وأولئك بالحجة والبيان الساطع، ومما قاله في نقاده: «وما أنعم الله به علي أن أقام لي عدوا يؤذيني ويمزق في عرضي، ليكون لي أسوة بالأنبياء والأولياء...».

وحين بلغ عمر السيوطي يناهز الأربعين، انعزل عن الناس، وزهد في الدنيا، وانقطع بسكنه في الروضة، وأقبل على الله تعالى، وألف أكثر مؤلفاته في عزلته هذه التي استمرت حوالي عشرين عامًا حتى توفي، ورفض في خلال هذه الفترة أن يستقبل أحدًا من مريديه، وقد عرض عليه السلطان الجديد قانصوه الغوري وظيفة المشيخة بمدرسة البيبرسية، لكنه رفض وآثر العزلة والبعد عن الحياة العامة حتى وفاته.

وقد شرح السيوطي أسباب انسحابه من التدريس والفتيا، وإيثاره العزلة في «المقامة اللؤلؤية» وصور فيها حال زمانه، وهو في ذلك يبرر القرار الذي اتخذه بالامتناع عن التدريس والفتيا، فقال: «... وتعلم المتعلم لغير العمل، وكان التفقه

للدنيا وليس له في الآخرة أمل، وأهين الكبير، وقدم عليه الصغير، ورفعت الأشرار، ووضعت الأخيار، فلا يتبع التعليم، ولا يستحيا من الحليم، واتخذت البدعة سنة، فلا يغيرها حتى عمر، وصار الموت أحب إلى العلماء من الذهب الأحمر..».

في هذه المرحلة من عمره، انقطع السيوطي رحمه الله تعالى بمنزله في الروضة، وكانت له كرامات، وعظم غالبها بعد وفاته.

وكان للسيوطي اعتقاد في علم الباطن، وقيل: إنه اشتغل بتحصيل علم الباطن واستفاد من أهلها بالصحبة والخدمة والسلوك، وحسن الاعتقاد والإخلاص والتخلية من الرذائل، والتحلية بالفضائل، وقال السيوطي: إنه رأى الرسول ﷺ في اليقظة والمنام.

مؤلفاته:

لقد انعكس علم السيوطي في مؤلفاته العديدة في مختلف الفنون، والتي يستطيع الباحث المحقق أن يقف على الكثير منها في المكتبات العامة والخاصة مطبوعًا ومخطوطًا، فالإمام السيوطي عالم موسوعي جليل يخاله الدارس متخصصًا في كل فن أسهم في التأليف فيه، حجة في كل علم من العلوم التي عرض لها.

ولا شك أن هذه منة عظيمة أعطاها الله للسيوطي، وفضل عظيم من الله الذي يرزق من يشاء بغير حساب، وقد قرر السيوطي بأنه لديه أهلية تمكنه أن يكتب في كل فن، فقال في معرض حديثه عن نفسه:

«... وقد كملت عندي آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى، أقول ذلك تحدثًا بنعمة الله تعالى لا فخرًا.. ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفًا بأقوالها، وأدلتها النقلية، والقياسية، ومداركها، ونقوضها، وأجوبتها، والموازنة بين اختلاف المذاهب، لقدرت على ذلك من فضل الله، لا بحولي ولا بقوتي، فلا حول إلا بالله، ما شاء الله لا قوة إلا بالله...».

والسر هنا يكمن في تقريرات السيوطي الأخيرة من هذا النص، وإن أهليته واجتهاده والاعتصام بمدد الله وحبله المتين قبل كل شيء قادرة على أن تخلق الكثير والكثير.

ولقد صدق السيوطي فيما قال، ويؤيد ذلك مؤلفاته وتصانيفه العديدة في كل فن من الفنون سواء كانت مطبوعة أو مخطوطة، فقد ذكر تلميذه الداودي: «أنه كان في سرعة الكتابة آية كبرى من آيات الله، ويقول: وقد عاينت الشيخ، وقد كتب في يوم واحد، ثلاث كراريس، تأليفًا، وتحريرًا، وكان مع ذلك، يملي الحديث، ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة».

ونالت مؤلفات السيوطي شهرة واسعة، وانتشارًا في كل الأقطار، يقول الشوكاني: «فإن مؤلفات السيوطي انتشرت في الأقطار، وسارت بها الركبان إلى الأنجاد والأغوار، ورفع الله له من الذكر الحسن والثناء الجميل، ما لم يكن لأحد من معاصريه والعاقبة للمتقين».

وقال صاحب شذرات الذهب عن مؤلفات السيوطي: «وشهرتها تغني عن ذكرها، وقد اشتهرت أكثر مؤلفاته في حياته في أقطار الأرض شرقًا وغربًا».

ويبين الكتاني قيمة مؤلفات السيوطي وشهرتها بالنسبة لمعاصريه وشيوخه فيقول: «فإن مؤلفاته بالنسبة لمعاصريه وشيوخه حصلت على إقبال عظيم عند الأمة الإسلامية، لم يحصل عليها غيره، ولا تكاد تجد خزانة في الدنيا عربية أو أعجمية، تخلو من العدد العديد منها بخلاف مؤلفات أقرانه، بل وشيوخه، فإنها أعز من بيض الأنق».

والشيء الذي يلفت النظر حول مؤلفات السيوطي، أن تشيع وتشتهر في حياته، وخاصة إذا تخيلنا عصره، والوسائل المتاحة للشهرة في ذلك العصر وفي حياته، فتلك ميزة لم ينل شرف الحصول عليها إلا عدد قليل من العلماء.

ومن الثابت أن شهرة السيوطي في زمنه وصلت إلى بلاد كثيرة بدليل أن الشيخ شمس الدين محمد اللمتوني من بلاد التكرور بغرب السودان أرسل إلى السيوطي سنة ٨٩٨هـ رسالة تحتوي على مشكلات فقهية مختلفة، أجاب عنها السيوطي في رسالة سماها: «فتح المطلب المبرور، وبرد الكبد المحرور في الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور»، وهي رسالة تدل على مدى طول باع السيوطي في العلم، ونعرف منها شيئًا عن النظم الاقتصادية والحياة الاجتماعية في بلاد غرب السودان في العصور

الوسطى.

لكل هذا، قال عدد كبير من المؤلفين والمصنفين بإحصاء وحصر كتب السيوطي المخطوطة والمطبوعة، وكان من آخر هذه الكتب التي صدرت أخيرًا، كتاب: «دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها» وقد بلغت مؤلفات السيوطي في هذا الكتاب ٩٨١ مؤلفًا بين المخطوط والمطبوع. ويبدو أن هذا العدد الأخير لمؤلفات السيوطي ليس نهائيًا، فما زلنا نكتشف كتبًا لم تدخل في حصر هذا الكتاب السابق.

ويؤيد ذلك ما قاله ابن القاضي في درة الحجال عن تصانيف السيوطي، حيث قال: «إن تصانيفه لا تحصى تجاوز الألف».

رحم الله السيوطي رحمة واسعة، فقد كان علمًا موسوعيًا عظيمًا، ونموذجًا رائعًا من أئمة أعلامنا، الذين أفادوا حضارتنا العربية والإسلامية أيما إفادة.

وصف مخطوطات الكتاب

اعتمدت في تحقيق الكتاب على مخطوطين:

أولاهما: مخطوط دار الكتب المصرية: وتقع في مجموع برقم ٣٢، وعدد أوراق هذا المجموع ٤٦٧ ورقة.

وتبدأ صفحات هذا المخطوط من صفحة ٥٢ إلى صفحة ٦٥ فيكون مجموعها ١٣صفحة، وهو من القطع المتوسط، ومسطرته ٢٢ سطرًا في الصفحة الواحدة، وفي كل سطر ٩ كلمات في المتوسطِ.

وقد نسخت بخط واضح لا صعوبة في قراءته، إلا أنه لا يخلو من بعض التحريفات التي انتابت كلماته، وقد دون في نهاية هذا المخطوط اسم ناسخه وكان على يد مصطفى مرتجي الأحمد السعدي، وكذلك تاريخ النسخ فكان في سنة ألف ومائتين وإحدى وثمانين كما هو ثابت في آخر المخطوط.

ولقد اتخذ هذا المخطوط أصلاً لقدمه وتمامه ووضوحه عن النسخة الأخرى.

والـثاني: مخطوط مكتبة الإسكندرية، وهو مصور بمعهد المخطوطات العربية بـرقم (٣٥ التوحيد والملل والنحل) وتبلغ صفحات هذا المخطوط ١٤ صفحة من

القطع الكبير، ومسطرته ٢١ سطرًا في الصفحة الواحدة، وفي كل سطر ١٤ كلمة في المتوسط.

ويبدو على خط هذه النسخة أنها أحدث من خط النسخة السابقة الأصل، وهي مليئة بالتحريفات، ويعتريها السقط الكثير، وقد حاولت أن أستفيد منها قدر الطاقة.

صور من مخطوطة كتاب إلقام الحجر

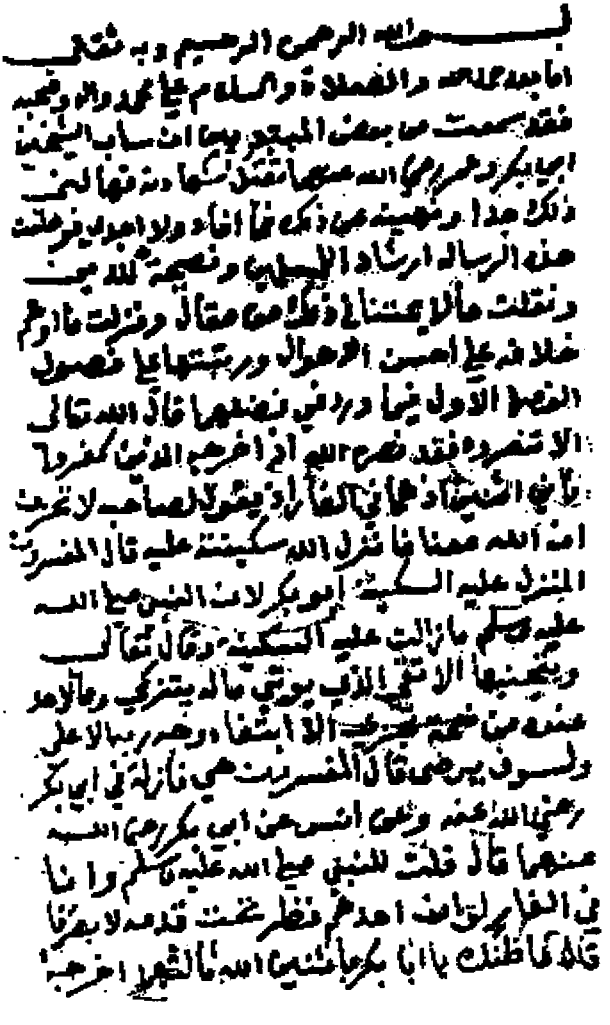

الصفحة الأولى من المخطوطة

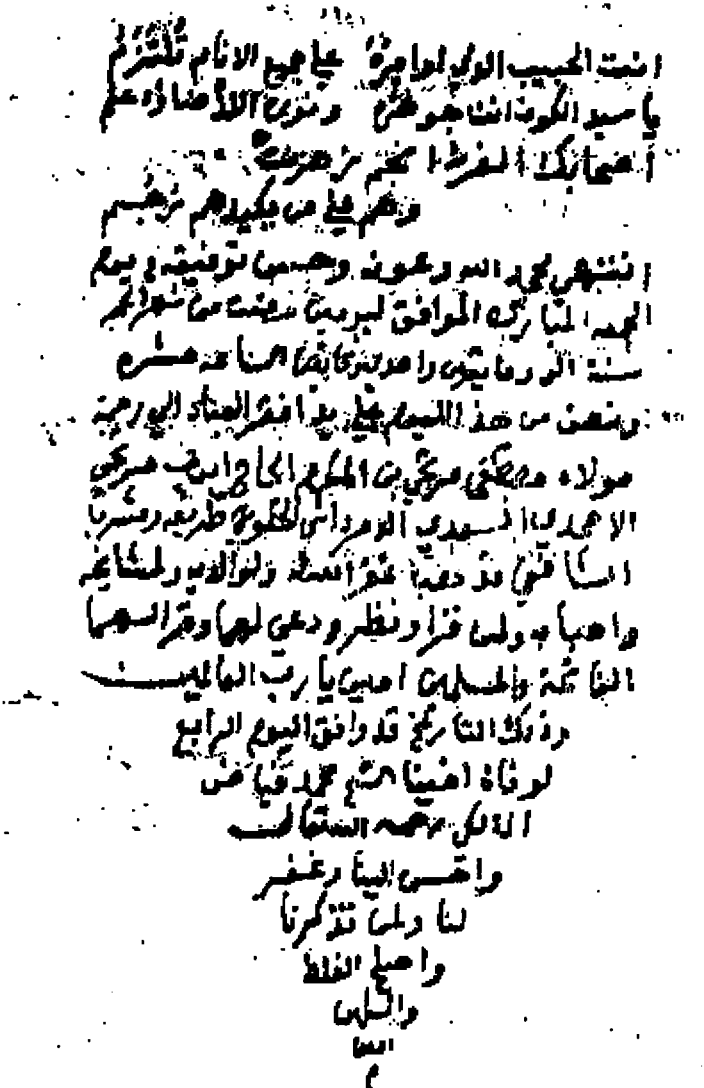

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

أما بعد حمداً لله، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه، فقد سمعت من بعض المبتدئين: أن ساب الشيخين: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، تقبل شهادته؛ فهالني ذلك جدًا ونهيته عن ذلك، فما أفاد، ولا أجدى؛ فوضعت هذه الرسالة إرشادًا للمسلمين، ونصيحة للدين، ونقلت ما لأئمتنا في ذلك من مقال، ونزلت ما أوهم خلافه على أحسن الأحوال.

ورتبتها على فصول:

الفصل الأول

فيما ورد في فضلهما

[١] قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال المفسرون: المنزل عليه السكينة: أبو بكر[(١)]؛ لأن النبي ﷺ ما زالت عليه السكينة.

[٢] وقال تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [اللّيل: ١٧ - ٢١].

قال المفسرون: هي نازلة في أبي بكر ﷺ.

[٣] وعن أنس عن أبي بكر رضي الله عنهما قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار، لو أن أحدهم نظر تحت قدمه لأبصرنا قال:

«ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»[(٢)].

---

(١) اسمه عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي، وأمه بنت عم أبيه، تكنّى بأم الخير، واسمها سلمى بنت صخر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، وكان اسمه ﷺ في الجاهلية عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله ولقّبه عُتيقًا لجمال وجهه، وسُمّي صدِّيقًا لتصديقه خبر الإسراء، وكان ﷺ أبيض اللون، نحيفًا، خفيف العارضين، أحنى، لا يتمسك إزاره، معروف الوجه، غائر العينين، ناتي الجبهة، عاري الأشاجع، هكذا وصفته ابنته عائشة رضي الله عنها.

وهو أوّل من أسلم بعد خديجة عند الأكثرين، وحكاه الشعبي عن ابن عباس ﷺ وعن عمرو بن عتبة قال: «أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو نازلٌ بعكاظ، فقلت: يا رسول الله من اتبعك على هذا الأمر؟ فقال: حرٌّ وعبدٌ: أبو بكر، وبلال قال: فأسلمت عند ذلك(١)»..

(٢) رواه البخاري (٣/١٣٣٧)، ومسلم (٤/١٨٥٤).

[٤] وعن عمرو بن العاص قال. قلت يا رسول الله: أي الناس أحب إليك قال: «عائشة» فقلت من الرجال قال: «أبوها» قلت: ثم من. قال: «عمر بن الخطاب» [فعد رجالاً] [(١)]. أخرجاه.

[٥] وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما راع في غنمه غدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب. فقال: من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري، وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه، فكلمته، فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث**».

قال الناس: سبحان الله. قال النبي ﷺ: «**فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر**»[(٢)]. أخرجاه.

وفي رواية لهما: «**وما ثم أبو بكر وعمر**[(٣)]».

---

(١) رواه البخاري (١٣٣٩/٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٩/٣)، ومسلم (١٨٥٧/٤).

(٣) هو ابن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، وكان يُكنَّى أبا حفص، وأمه خيثمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان مولده بعد الفيل بثلاثة عشر سنة، وكان المسلمون يوم إسلامه تسعة وثلاثين رجلاً، وكمَّلهم عمر ﷺ أربعين، وشهد بدرًا وبيعة الرضوان، وكل مشهدٍ شهده رسول الله ﷺ، وكان أبيض، طوَّالا، أصلع، تعلوه حمرةٌ، وقيل: كان شديد الأدمة.

وقال ابن مسعود ﷺ: ما زلنا أعزَّةً منذ أسلم عمر ﷺ.

وعهد إليه أبو بكر واستخلفه فبايعه الناس يوم وفاة أبي بكر، فسار أحسن سيرةً، وفتح الله على المسلمين في أيامه.

وحجَّ بالناس في مدته عشر سنين متوالية، ثم صدر إلى المدينة آخر حجَّة فقتله فيروز غلام المغيرة ابن شعبة يوم الإثنين لأربع ليالٍ بقين من ذي الحجَّة سنة ثلاث وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين ونصفًا.

ولما طُعن حُمل إلى بيته، فقال: ادعوا لي الطبيب، فلما دخل عليه سقاه لبنًا، فخرج اللبن من بعض طعناته، فقال الطبيب: لا أرى أن تمسي، فما كنت فاعلاً فافعل، فأمر بالشورى، وقدَّم صهيبًا للصلاة بالناس، ثم مكث ثلاثًا، وتُوفي ﷺ وصلَّى عليه صهيب، ودُفن في حجرة عائشة مع رسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ.

واختُلف في سنِّه يوم وفاته.

=

أي: لم يكونا في المجلس، فشهد لهما بالإيمان بذلك؛ لعلمه بكمال إيمانهما.

[٦] وعن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ صعد أحدًا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فقال: «**أثبت أحد، فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان**»(١).

[٧] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان(٢). أخرجه البخاري.

زاد الطبراني: «فنعلم بذلك النبي ﷺ، ولا ينكره»(٣).

[٨] وعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي: أبو بكر، وعمر**»(٤). رواه الترمذي وحسنه.

=

والصحيح أنه تُوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة كسن النبي ﷺ، وأبي بكر ﷺ حين تُوفيا.

وهو أول من سُمِّي أمير المؤمنين.

وأول من وضع تاريخ دولة الإسلام على سنة الهجرة، وكان ذلك في سنة عشرة من الهجرة.

وأول من اتخذ الدُّرَّة.

وأول من نوَّر شهر الصوم بصلاة التراويح.

وأول من دوَّن الدواوين، وجنَّد الأجناد، وعرَّف العرفاء، ووضع الجزية، ونفى المشركين عن جزيرة العرب.

وأجمعوا على كثرة علمه، ووفور فهمه، وزهده، وتواضعه، ورفقه بالمسلمين، وإنصافه، ووقوفه مع الحق، وتعظيمه آثار رسول الله ﷺ، وشدة متابعته له، ومحاسنه أكثر من أن تُحصى.

وكان لا يجمع في ساطه بين إدامين.

وقدِّمت إليه حفصة رضي الله عنها مرقًا باردًا وصبَّت عليه زيتًا، فقال: إدمان في إناءٍ واحدٍ، لا آكله حتى ألقى الله ﷻ.

وكان في قميصه أربع رقاع بين كتفيه.

وكان إزاره مرقوعًا بقطعةٍ من جراب، وعدُّوا في قميصه أربع عشر رقعةً، أحدها من أدم أحمر.

(١) رواه البخاري (١٣٤٤/٣)، وأبو داود (٤٠/٥)، والترمذي (٦٢٤/٥)، وأحمد (٣٣١/٥).

(٢) رواه البخاري (١٣٣٧/٣).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٤١٤/٢).

(٤) رواه الترمذي (٦٠٩/٥).

[٩] وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء: فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض: فأبو بكر وعمر»[١]. رواه الترمذي وحسنه.

[١٠] وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين»[٢].

[١١] وعن سعيد بن زيد ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة»[٣]. الحديث رواه: أصحاب السنن الأربعة. وقال الترمذي حسن صحيح.

[١٢] وعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأَنعْمَا»[٤] رواه الترمذي وحسنه.

[١٣] وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ: كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر ولا يرفع إليه أحد منهم بصره، إلا أبو بكر وعمر، فإنهما كانا ينظران إليه، وينظر إليهما، ويتسمان إليه، ويتسم إليهما[٥]. رواه الترمذي.

[١٤] وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول ﷺ خرج ذات يوم، فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما. وقال: «هكذا نبعث يوم القيامة»[٦]. رواه الترمذي.

[١٥] وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال عمر لأبي بكر: يا خير الناس بعد

---

(١) رواه الترمذي (٥/٦١٠).
(٢) رواه الترمذي (٥/٦١٠)، وأحمد (١/٨٠).
(٣) رواه أبو داود (٥/٣٩)، والترمذي (٥/٦٤٨)، وأحمد (١/١٨٧)، وابن ماجه (١/٤٨).
(٤) رواه الترمذي (٥/٦٠٧)، وأحمد (٣/٢٧)، وابن ماجه (١/٣٧).
(٥) رواه الترمذي (٥/٦١٢).
(٦) رواه الترمذي (٥/٦١٢).

رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: أما أنك قلت ذاك، فلقد سمعت [رسول الله ﷺ] يقول: **«ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر»**[١]. رواه الترمذي.

[١٦] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر»**[٢]. رواه الترمذي وحسنه.

[١٧] وعن عبد الله بن حنطب ﷺ أن النبي ﷺ، رأى أبا بكر وعمر، فقال: **«هذان السمع والبصر»**[٣]. رواه الترمذي، وقال: مرسل.

[١٨] وعن أبي أروى الدوسي ﷺ قال: كنت عند النبي ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر، فقال: **«الحمد لله الذي أيدني بكما»**[٤] رواه البزار في مسنده.

[١٩] وعن عمار بن ياسر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني جبريل آنفًا، فقلت يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب [في السماء]. فقال يا محمد: لو حدثتك بفضائل عمر منذ ما لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، ما نفذت فضائل عمر، وإن عمر لحسنة من حسنات أبي بكر»**[٥]. رواه أبو يعلى في مسنده.

[٢٠] وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس فقال: **«إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار العبد ما عند الله»**.

فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه، أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ [هو] المُخَيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا به[٦]. أخرجه الشيخان.

[٢١] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من أَمَنّ الناس علي في صحبته وماله: أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي، لاتخذت**

---

(١) رواه الترمذي (٥/٦١٨).

(٢) رواه الترمذي (٥/٦٢٢).

(٣) رواه الترمذي (٥/٦١٣).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٧٤).

(٥) رواه أبو يعلى في مسنده (٣/١٧٩)، والطبراني في الأوسط (٢/٣٤٢).

(٦) رواه البخاري (١/١٧٧، ١٧٨)، ومسلم (٤/١٨٥٥).

أبا بكر، ولكن أُخُوَّةَ الإسلام ومودته لا تبقين في المسجد بابًا إلا سد، إلا باب أبي بكر»[١]. أخرجه البخاري.

[٢٢] وعن جبير بن مطعم ﷺ [عن أبيه] قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ، فأمرها أن ترجع إليه. قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك - كأنها تقول: الموت - قال: «**إن لم تجديني، فأت أبا بكر**»[٢]. أخرجاه.

[٢٣] وعن أبي الدرداء ﷺ قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ، إذ أقبل عليه أبو بكر، فسلم وقال: إني كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيء، فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى علي، فأقبلت إليك، فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» ثلاثًا، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فقال: أثم أبو بكر. فقالوا: لا، فأتى النبي ﷺ، فجعل [وجه] النبي ﷺ يَتَمَعَّر، حتى أشفق أبو بكر، فجثى على ركبتيه، فقال: والله أنا كنت أظلم مرتين. فقال النبي ﷺ: «**إن الله بعثني إليكم، فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي مرتين**». فما أوذي بعدها[٣]. رواه البخاري.

[٢٤] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ. «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**».

فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال رسول الله ﷺ: «**إنك لست تصنع ذلك خُيلاَء**»[٤]. رواه البخاري.

[٢٥] وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله، دعي من أبواب الجنة، يا عبد الله: هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل**

---

(١) رواه البخاري (١/٧٨)، ومسلم (٤/١٨٥٤).

(٢) رواه البخاري (٣/١٣٣٨)، ومسلم (٤/١٨٥٦).

(٣) رواه البخاري (٣/١٣٣٩).

(٤) رواه البخاري (٣/١٣٤٠)، ومسلم (٣/١٦٥١)، وأحمد (٢/٦٧).

الصيام دعي من باب الريان».

فقـــال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة. وقال: هـــل يُدعـــى منها كلها أحد يا رسول الله قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر**»[(١)]. أخرجه الشيخان.

[٢٦] وعن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ. قال رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه، فخنقه به خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [غافر: ٢٨][(٢)]. رواه البخاري.

[٢٧] عن علي ﷺ أنه قال: أيها الناس أخبروني من أشجع الناس؟

قالوا: قلنا أنت [يا أمير المؤمنين]. قال: أما إني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم.

فمما قال: أبو بكر إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ؛ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فو الله ما دنى منا أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ ما يهوي إليه أحد، إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس.

فقال علي: لقد رأيت رسول الله ﷺ، وأخذته قريش، فهذا يجأه، وهذا يتلتله، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحدًا؟

قـــال: فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا ويجاء هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾، ثم رفع علي بردة كانت علـــيه، فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: «**أنشدكم أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟**» فسكت القوم.

---

(١) رواه البخاري (٢/٦٧١)، ومسلم (٢/٧١١، ٧١٢).

(٢) رواه البخاري (٣/١٣٤٥).

فقال: «لا تجيبوني، فوالله لساعة من أبي بكر، خير من مثل مؤمن آل فرعون. ذاك رجل كتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه»[١]. رواه البزار.

[٢٨] وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال: رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون، إلا أبا بكر»[٢] رواه مسلم.

[٢٩] وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: مرض النبي ﷺ، فاشتد مرضه، فقال: «مروا أبا بكر، فليصل بالناس».

قالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قام مقامك، لم يستطع أن يصلي بالناس فقال: «مري أبا بكر فليصل بالناس».

فعادت، فقال: «مري أبا بكر، فليصل بالناس».

فعادت، فقال: «مري أبا بكر فليصل بالناس، إنكن صواحب يوسف».

فأتاه الرسول، فصلى بالناس في حياة رسول الله ﷺ[٣]. رواه الشيخان.

[٣٠] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي»[٤]. رواه أبو داود.

[٣١] وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ»[٥]. رواه الترمذي وحسنه.

[٣٢] وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه، إلا أبو بكر، فإن له عندنا يدًا، يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط، ما نفعني مال أبي بكر، [ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً،

---

(١) رواه البزار في كشف الأستار (١/١٦١، ١٦٢).

(٢) رواه مسلم (٤/١٨٥٧).

(٣) رواه البخاري (١/٢٣٦)، ومسلم (١/٣١٣، ٣١٤).

(٤) رواه أبو داود (٥/٤١).

(٥) رواه الترمذي (٥/٦٠٦).

ألا وإن صاحبكم خليل الله]»[١]. رواه الترمذي وحسنه.

[٣٣] وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار»[٢]. رواه الترمذي وحسنه.

[٣٤] وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يومًا.

قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده.

فقال: «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟»

قال: أبقيت لهم الله ورسوله.

قلت: [والله] لا أسبقه إلى شيء أبدًا.[٣] رواه أبو داود والترمذي. وقال حسن صحيح.

[٣٥] وعن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ، فقال: «أنت عتيق الله من النار» فيومئذ سمي عتيقًا.[٤] رواه الترمذي، وأخرجه البزار بمثله من حديث عبد الله بن الزبير.

[٣٦] وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره»[٥]. رواه الترمذي.

[٣٧] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي إلى السماء، ما مررت بسماء إلا وجدت اسمي فيها مكتوبًا: محمد رسول الله أبو بكر الصديق»[٦]. رواه البزار.

[٣٨] وعن أسيد بن صفوان: قال: لما توفي أبو بكر سُجِّي بثوب، فارتجت

---

(١) رواه الترمذي (٥/٦٠٩).

(٢) رواه الترمذي (٥/٦١٣).

(٣) رواه أبو داود (٢/٢١٢، ٢١٣).

(٤) رواه الترمذي (٥/١١٦).

(٥) رواه الترمذي (٥/٦١٤).

(٦) رواه البزار في كشف الأستار (٣/١٦٢، ١٦٣).

المدينة بالبكاء، ودهش الناس، كيوم قبض رسول الله ﷺ، وجاء علي بن أبي طالب مسرعًا مسترجعًا، وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر، فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلامًا وأخلصهم إيمانًا، وأشدهم يقينًا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غنًا، وأحفظهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وآمنهم على أصحابه، وأحسنهم صحبة، وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله ﷺ، وأشبههم به هديًا وخلقًا وسمتًا، وأوثقهم عنده، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، فجزاك الله [عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ] [وعن المسلمين] خيرًا.[(١)] رواه البزار.

[٣٩] وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله -[عز وجل]- يكره في السماء أن يخطأ أبو بكر [الصديق] في الأرض**»[(٢)]. رواه الحارث بن [أبي] أسامة في مسنده.

[٤٠] وعن عمر ﷺ أنه قال: «وددت أني شعرة في صدر أبي بكر»[(٣)].

رواه مسدد في مسنده.

[٤١] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته، فوليت مدبرًا**، فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله»[(٤)]. رواه البخاري.

[٤٢] وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما أنا نائم شربت** -يعني اللبن- **حتى أنظر إلي الرِّيِّ يجري في أظفاري، ثم ناولته عمر**».

فقالوا: فما أولته يا رسول الله قال: «**العلم**»[(٥)]. رواه الشيخان.

[٤٣] وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما أنا نائم**

---

(١) رواه البزار في كشف الأستار (٣/١٦٥: ١٦٧).

(٢) رواه الحارث في مسنده (ص١١٤٧).

(٣) عزاه صاحب كنز العمال لمسدد (١٢/٤٩٦).

(٤) رواه البخاري (٣/١١٨٥)، ومسلم (٤/١٨٦٣).

(٥) رواه البخاري (٣/١٣٤٦)، ومسلم (٤/١٨٥٩).

رأيت الناس عرضوا علي، وعليهم قُمُص: منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر، وعليه قميص اجترَّهُ».

قالوا: ما أولته يا رسول الله؟ قال: «الدين»[١]. رواه الشيخان.

[٤٤] وعن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا قط، إلا سلك فجًا غير فجك»[٢]. رواه البخاري.

[٤٥] وعن ابن مسعود ﷺ قال: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»[٣]. رواه البخاري.

[٤٦] وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب، فكان أحبهما إليه عمر»[٤]. رواه الترمذي. وقال حسن صحيح.

[٤٧] وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر، وقلبه».

وقال ابن عمر: وما نزل بالناس أمر قط، فقالوا وقال إلا نزال القرآن على نحو ما قال عمر.[٥] رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

[٤٨] وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان بعدي نبي، لكان عمر بن الخطاب»[٦]. رواه الترمذي وحسنه.

[٤٩] وعن عائشة رضي الله عنها. قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر».

---

(١) رواه البخاري (٣/١٣٤٩)، ومسلم (٤/١٨٥٩).
(٢) رواه البخاري (٣/١٣٥٢)، ومسلم (٤/١٨٦٤).
(٣) رواه البخاري (٥/١٤).
(٤) رواه الترمذي (٥/٦١٧).
(٥) رواه الترمذي (٥/٦١٧)، وأحمد (٢/٥٣).
(٦) رواه الترمذي (٥/٦١٧).

[قالت: فرجفت].[١] رواه الترمذي. وقال: حسن صحيح.

[٥٠] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أسلم عمر نزل جبريل، فقال: يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر[٢]. رواه ابن ماجه.

[٥١] وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلِّم عليه**»[٣]. رواه ابن ماجه.

[٥٢] وعن أبي ذر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله وضع الحق على لسان عمر، يقول به**»[٤]. رواه ابن ماجه.

[٥٣] وعن علي ﷺ قال: «كنا أصحاب محمد لا نشك أن السكينة تنطق على لسان عمر»[٥]. رواه مسدد وابن منيع في مسنديهما.

[٥٤] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أسلم عمر، قال المشركون: لقد انتصف القوم اليوم منا، وأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤][٦]. رواه البزار.

[٥٥] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**عمر سراج أهل الجنة**»[٧]. رواه البزار.

[٥٦] وعن قدامة بن مظعون عن عمه عثمان بن مظعون قال: قال رسول الله ﷺ: «**هذا غلق الفتنة** -وأشار بيده إلى عمر- **لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد [الغلق] ما عاش هذا بين أظهركم**»[٨]. رواه البزار.

---

(١) رواه الترمذي (٥/٦١٩).
(٢) رواه ابن ماجه (١/٣٩٣٨).
(٣) رواه ابن ماجه (١/٣٩).
(٤) رواه ابن ماجه (١/٤٠)، وأحمد (٢/٥٣).
(٥) رواه أحمد (١/١٠٦) بنحوه.
(٦) رواه البزار في كشف الأستار (٣/١٧٢).
(٧) رواه البزار في كشف الأستار (٣/١٧٤).
(٨) رواه البزار في كشف الأستار (٣/١٧٦).

[٥٧] وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنهما قالت: دخل رجل من المهاجرين على أبي بكر وهو يشتكي في مرضه فقال له: أتستخلف علينا عمر، وقد عتى علينا، ولا سلطان له، فكيف لو ملكنا كان أعتى وأعتى، فكيف تقول لله إذا لقيته؟!

فقال أبو بكر: أجلسوني، فأجلسوه. فقال: إن لله تعرفوني، فأنا أقول إذا لقيته: استخلفت عليهم خير أهلك[١]. رواه إسحاق بن راهويه في مسنده.

والأحاديث في فضلهما تحتمل مجلدات، وهذه نبذة منها.

[٥٨] وقد روى الترمذي عن محمد بن سيرين ﷺ قال: ما أظن رجلاً ينتقص أبا بكر وعمر يحب النبي ﷺ[٢].

(١) ذكره ابن الجوزي في تاريخه (٤٨/٤٩).

(٢) رواه الترمذي (٥/٦١٩).

الفصل الثاني

في بيان أن سبهما كبيرة

لا خلاف في ذلك بين السلف والخلف، ونقل [قول] من عد ذلك في الكبائر تطويل مشهور.

[٥٩] وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»(١).

[٦٠] وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أكرموا أصحابي، فإنهم خياركم**»(٢). رواه النسائي.

[٦١] وعن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اختارني، واختار أصحابي، وجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبَّهم، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منهم صرفًا ولا عدلاً**»(٣). رواه الطبراني في معجمه والحميدي في مسنده بإسناد حسن.

[٦٢] وعن ابن عمر رضي الله عنهما: لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره.(٤) رواه ابن ماجه.

[٦٣] وعن عبد الله بن معقل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم، فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم، فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن أذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**»(٥). رواه الترمذي.

[٦٤] وعن جابر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس يكثرون، وأصحابي**

---

(١) رواه البخاري (٦/١٩٥)، مسلم (٤/١٩٦٧).

(٢) رواه أحمد (٤/٢٠٥).

(٣) رواه الطبراني (١٠/١٧)، والحاكم في المستدرك (٣/٦٣٢).

(٤) رواه ابن ماجه (١/٥٧).

(٥) رواه الترمذي (٥/٦٩٦).

يقلون، فلا تسبوهم، لعن الله من سبهم»[١] رواه أبو يعلى في مسنده.

[٦٥] وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوا لي أصهاري وأصحابي، فإنه من حفظني فيهم كان معه من الله حافظ، ومن لم يحفظني فيهم، تخلى الله عنه، ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه»[٢]. رواه ابن منيع في مسنده.

[٦٦] وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة، يرفضون الإسلام، ويلفظونه، فاقتلوهم»[٣]. رواه البزار.

[٦٧] وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة من شتم الأنبياء، ثم أصحابي، ثم المسلمين»[٤]. وإذا نظرت حد الكبيرة، رأيته منطبقًا عليه، فقد نقل الرافعي عن الأكثرين أن الكبيرة [تنطبق] عليه.

[٦٨] ويشهد له ما رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعن، أو عذاب، فهو كبيرة»[٥].

[٦٩] وروى البيهقي في الشعب عنه قال: «كل ما نهى الله عنه كبيرة»[٦].

وصحح المتأخرون: إنها كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين، ورقة الديانة. وممن [صحح] ذلك ابن السبكي في جمع الجوامع، ثم عد سب الصحابة منها.

وما أجدرها جريمة مؤذنة بالجرأة على الله وعلى رسوله، وقلة اكتراث فاعلها بالدين؛ لظنه الخبيث -لعنه الله- أن مثل هؤلاء يستحقون السب، وهو مبرأ نقي تقي مستأهل للمدح، كلا والله بغية الحجر، بل إذا ظن أنهم يستحقون السب، اعتقدنا أنه يستحق الحرق وزيادة. وإذا عرفت أن سبَّ الشيخين كبيرة بلا خلاف عرفت أن الساب لهما، لا تقبل شهادته، إذ لا يقبل إلا عدل، وهو من لم يرتكب كبيرة، وسنزيد هذا وضوحًا.

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (١٣٣/٤).
(٢) أورده صاحب كنز العمال (٥٣٠/١١).
(٣) رواه البزار في كشف الأستار (٢٩٣/٣).
(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٢١٥/١٠).
(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧/٥).
(٦) رواه البيهقي في الشعب (٩٢/٢).

الفصل الثالث

حكم ساب الشيخين

اعلم أن سابَّ الشيخين فيه وجهان لأصحابنا حكاهما القاضي الحسين وغيره.

أحدهما: أنه كافر، وجزم به المحاملي في اللباب.

الثاني: أنه فاسق، وعليه فتوى الأصحاب، ومن لا يكفر ببدعة.

فحينئذ لا يتخلص حاله عن أحد هذين الأمرين: إما الكفر، وإما الفسق، ولا يقبل متصف بواحد منهما قطعًا، وقد جزم بذلك، وأن فتواهم مردودة، وأقوالهم ساقطة. [حكاه] النووي في أول شرح المهذب، وحكاه في الروضة في باب القضاء عن الخطيب وأقره، وقال به الغزالي والبغوي والرافعي في باب الشهادات.

وإن كان وقع في هذا الباب من زيادات الروضة تعميم قبول المبتدعة، حتى استشكل صاحب المهمات الجمع بينه وبين كلامه في باب القضاء، وشرح المهذب، وهي الشبهة التي تمسك بها من قال بالقبولِ.

فلا يشك أن المبتدعة التي قال النووي بقبولهم هم من لا يفسق ببدعته (١٨٣)، إذ الكلام فيهم، كالشيعي القائل بتفضيل علي، وكمنكِر القدر والرؤية ونحوهما ممن لهم تأويل، ويشهد لذلك أمور:

الأول: أنهم عللوه بأن العداوة في الاعتقاد، لا تقدح في العدالة، وقد عرفت أن سب الشيخين كبيرة قادح فيها.

الثاني: ما تقدم له في باب القضاء وفي شرح المهذب.

الثالث: أنه قال في الموضعين المذكورين قبل ذكر عدم قبولهم، أن المبتدع الذي لا نكفره ولا نفسقه، فإنه يقبل على الصحيح ثم عقبه بساب الصحابة والسلفِ، فإنه مردود، فعلم أن ما ذكره في باب الشهادات محمول على ما ذكره هنا، وإنما أطلق هنا حملاً عليهِ.

ولما علم من قاعدة الباب أن الفاسق يقبل، فالساب مردود؛ لوصف الفسق، لا لخصوص وصف الابتداع، ومن خيل له الشيطان أن لساب الشيخين تأويلاً يخرجه عن الفسق، فلا أدري ما أقول له كيف؟

[٧٠] وقد قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق»[(١)].

فإذا كان هذا في آحاد المسلمين، فما ظنك بأفضل الأمة، وأكرم الخليقة.

وفي الكفاية لابن الرفعة قال الماوردي: يشترط لقبول شهادة أهل الأهواء بعد الإسلام ستة شروط:

أحدهما: كون التأويل سابقًا، كتأويل البغاة، وإلا فهم فسقة.

الثاني: أن لا يدفعه إجماع.

الثالث: أن لا يعصي به، كالقدح في بعض الصحابة، وهم الذين كانوا معه ﷺ حضرًا أو سفرًا، أو تابعوه في الدين والدنيا، أو وثق بسرائرهم، أو أفضى بأوامره ونواهيه إليهم دون من قدم من الوفود، وقاتل معه من الأعراب، ثم القدح إن كان سبًا ففاسق يعزر، أو بنسبه لفسق وضلال وهو من العشرة، أو من أهل بيعة الرضوان، أو من لم يدخل في قتال صفين والجمل، فكل ذلك قطعًا، أو ممن دخل فيهما، فكذلك أيضًا على الأصح.

الرابع: أن لا يقاتل عليًا ولا ينابذ فيه أهل العدل.

الخامس: أن لا يرى تصديق موافقيه على مخالفيه.

السادس: أن يكون ظاهر التحفظ كغيره من أهل الحق. انتهى.

وليس في الرافضة شرط من هذه الشروط الستة، فضلاً عن اجتماعهم فيهم.

وقال أئمة الحديث وآخرهم الذهبي في الميزان:

البدعة على ضربين:

صغرى: كالتشيع، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم، مع الدين والورع والصدق، فلا يرد حديثهم.

وكبرى: كالرفض والحط على أبي بكر وعمر، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة.

قال: وأيضًا فلا أستحضرُ في هذا النوع رجلاً صادقًا ولا مأمونًا، بل الكذب

---

(١) رواه البخاري (١/١٧، ١٨)، ومسلم (١/٨١).

شعارهم، والتقية والنفاق دثارُهم. انتهى.

فإذا كان هذا في باب الرواية مع أنها أوسع من الشهادة بلا خلاف، ولهذا اشترط في الشهادة: الحرية، والعدد، والذكورية في بعض المواضع دونها، فما ظنك بما هو أعظم حالاً وأضيق مجالاً.

وقال القاضي عياض في الشفا: سب الصحابة وتنقيصهم حرام ملعون فاعله، قال: وقال مالك: من قال: إن أحدًا منهم على ضلال قتل، ومن شتمهم بغير هذا نكل نكالاً شديدًا، وعن مالك أيضًا: قال: من سبهم فلا حق له في الفيء.

[٧١] وروي عن عمر بن الخطاب أنه أراد قطع لسان رجل قد شتم المقداد بن الأسود، فكلم في ذلك، فقال: «دعوني أقطع لسانه؛ حتى لا يشتم بعده أحدًا من أصحاب النبي ﷺ»[1].

قال: وأفتى أبو المطرف الشعبي في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل، وقال: لو كانت بنت أبي بكر الصديق ما حلفت إلا بالنهار، وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه، فقال أبو المطرف: قوله هذا «لابنة أبي بكر» موجب عليه الضرب الشديد والحبس الطويل، والفقيه الذي صوب قوله هو أحق باسم الفسق من اسم الفقه، فيتقدم إليه في ذلك، ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته، وهي جرحة تامة فيه، ويبغض في الله، انتهى.

فإذا كان فيمن لم يسب ولم يُعَرِّض بل أقر على قول من عرَّض، فما ظنك بمن عرَّض أو صرَّح [بسبّ]، والغرض بهذا كله تقرير أنه فاسق مرتكب لعظيم من الكبائر، لا مخلِّص له إلا العدالة بسبيل، ومن كان بهذه الصفة، لا تقبل شهادته قطعًا، ثم من تخيل أنه لقبول ساب الصحابة وجهًا وتأولاً، فليعلم أن هذا وإن كان فاسدًا، فالشيخان خارجان من ذلك، إذ تأويلهم إنما هو فيمن خامر الفتن ولابس قتل عثمان، أو قاتل عليًا، والشيخان مبرآن من ذلك قطعًا، ولهذا أجرى الخلاف في تكفير سابهما وساب عثمان وعلي دون غيرهما من الصحابة، وإن كان تأويلهم بذلك باطلاً مردودًا عليهم، ولسنا بصدد إقامة الحجة على ذلك، بل القصد ما بيناه، وفيه كفاية لمن رزق

(١) أورده صاحب كنز العمال (١٢/٦٦٠).

وأوتي دينًا وتوفيقًا يحجزه عن الوقوع في المهاوي. نسأل الله التوفيق بمنه وكرمه وجوده.

ثم رأيت الشيخ تقي الدين السبكي صنف كتابًا سماه: «غيرة الإيمان الجلي لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي»؛ بسبب رافضي وقف في الملأ، وسب الشيخين وعثمان وجماعة من الصحابة، فاستتيب، فلم يتب، فحكم المالكي بقتله، وقتل، وصوبه السبكي فيما فعل، وألف في تصويبه الكتاب المذكور، وضمنه نفائس بديعات، ومآخذ جليلة واستنباطات، وذكر فيه مما يتعلق بمسألتنا هذه، فقال ما ملخصه: ذكر القاضي حسين من أصحابنا وجهين فيمن سب الشيخين أو الختنين:

أحدهما: يكفر؛ لأن الأمة أجمعت على إمامتهم.

والثاني: يفسق، ولا يكفر.

ثم نقل عن الحنفية نقولاً كثيرة بعضها بالتكفير، وبعضها بالتضليل، ثم مال السبكي إلى تصحيح التكفير لمآخذ ذكرها.

ثم نقل عن المالكية والحنابلة نقولاً كذلك ثم قال: وسئل محمد بن يوسف الفريابي عن من شتم أبا بكر فقال: «كافر»، فقيل يصلى عليه قال: «لا».

قال: وممن كفر الرافضة: أحمد بن يوسف وأبو بكر بن هانيء، وقالا: لا تؤكل ذبائحهم؛ لأنهم مرتدون، وكذا قال عبد الله بن إدريس الكوفي أحد أئمة الكوفة: ليس للرافضي شفعة؛ لأنه لا شفعة إلا لمسلم.

وقال أحمد: شتم عثمان زندقة، ثم قال: وأجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة أنهم فساق، وممن قال بوجوب القتل على من سب أبا بكر وعمر: عبد الرحمن بن أبزي الصحابي.

ثم نقل الاتفاق على أن من استحل سب الصحابة فهو كافر؛ لأن أدنى مراتبه أنه مجرم فاسق، واستحلال الحرام والفسق كفر، ثم قال: فإن قلت: فإنما يكون استحلال الحرام كفرًا إذا كان تحريمه معلومًا من الدين بالضرورة، قلت: وتحريم ساب الصحابة معلوم من الدين بالضرورة ثم أطال في تقريره، ثم أورد على نفسه، حيث اختار التكفير سب الشيخين أو الختنين، وإن لم يستحل.

فقال: فإن قلت فقد جزم القاضي حسين في كتاب الشهادات بفسق ساب الصحابة، ولم يحك فيه خلافًا، وكذلك ابن الصباغ في الشامل وغيره، وحكوه عن الشافعي، فيكون ذلك ترجي؛ لعدم الكفر.

[قلت:] لا، وهما مسألتان:

الأولى: المذكورة في الشهادات في السب لمطلق الصحابة.

والثانية: المذكورة في باب الإمامة في سب الشيخين أو الختنين وهي محل الوجهين في الكفر والفسق.

قال: ولا مانع من أن يكون سب مطلق الصحابة موجبًا للفسق، وسب هؤلاء الأربعة المخصوصين مختلفًا في كونه موجبًا للكفر أو الفسق، ثم قال في آخر كلامه: فنخلص أن سب أبي بكر على مذهب أبي حنيفة، وأحد الوجهين عند الشافعية كفر.

وفي تخريج عند مالك، وعند أحمد: زندقة. انتهى.

فرع: قال في الروضة في الوصية: لو أوصى لأجهل الناس؟

حكى الروياني أنه يصرف إلى عبدة الأوثان، فإن قال: من المسلمين فإلى من يسب الصحابة ﷺ.

فائدة نفيسة نختم بها الكتاب

[٧٢] قوله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه..**»[(١)].

مشكل الظاهر من حيث الخطاب، وأجاب جماعة بأنه ﷺ نزل الساب منهم؛ لتعاطيه ما لا يليق به منزلة غير الصحابة.

وقال السبكي في الكتاب المذكور: الظاهر أن الخطاب فيه لمن أسلم بعد الفتح. قال: ويرشد إليه قوله:

«**لو أنفق.... إلى آخره**» مع قوله [تعالى]: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ

(١) تقدم تخريجه.

ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾ [الحديد: ١٠].

قال: ولا بد لنا من تأويل بهذا أو بغيره، ليكون المخاطبون غير الأصحاب الموصى بهم.

قال: وسمعت شيخنا الشيخ تاج الدين بن عطاء الله يذكر في مجلسه في الوعظ تأويلاً آخر يقول: إن النبي ﷺ له تجليات يرى فيها من بعده في حق جمع الصحابة الذين [كانو] قبل الفتح وبعده.

قال: فإن ثبت ما قاله فالحديث شامل لجميع الصحابة، وإلا فهو في حق المتقدمين قبل الفتح، ويدخل من بعدهم في حكمهم، فإنهم بالنسبة إلى من بعدهم كالذين من قبلهم بالنسبة إليهم، وقد قلت في امتثال هذا الأمر:

أجيب داعيك طاعة ورضى ... يا سيدًا كلنا له خدم

أنت الحبيب الذي أوامره ... على جميع الأنام تُلتزم

يا سيد الكون أنت جوهره ... ونوره بدر يدوم

أصحابك الغر أنجم زهرت ... وهم على من يكيدهم رجم

انتهى بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في يوم الجمعة المبارك الموافق ليومين مضت من شهر ذي الحجة سنة ألف ومائتين وإحدى وثمانين الساعة عشرة ونصف من هذا اليوم، على يد أفقر العباد إلى رحمة مولاه: مصطفى مرتجي بن المكرم الحاج أيوب مرتجي الأحمدي السعدي الدمرداشي، الخلوي طريقة ومشربًا، الشافعي مذهبًا، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وأحبابه، ولمن قرأ أو نظر ودعى لهما، وقرأ لهما الفاتحة والمسلمين آمين يا رب العالمين. وذلك التاريخ قد وافق اليوم الرابع لوفاة أخينا الشيخ محمد فياض المالكي، رحمه الله تعالى وأحسن إلينا وغفر لنا ولمن تذكرنا وأصلح الغلط والمسلمين آمين.

إلقام الحجر

لمن زكى ساب أبي بكر وعمر

تعريف بالمؤلف: جلال الدين السيوطي ١٥٧
نشأته وعلمه ١٥٨
شيوخ السيوطي ١٦٣
فمن العالمات المعاصرات ١٦٥
أما شيخات السيوطي من النساء فمنهن ١٦٦
تلاميذ السيوطي ١٦٦
شعره ١٦٧
أقوال العلماء في السيوطي ١٦٩
شخصيته وأخلاقه ١٧٠
مؤلفاته ١٧٢
وصف مخطوطات الكتاب ١٧٤
صور من مخطوطة كتاب إلقام الحجر ١٧٧
وبه ثقتي ١٧٩
الفصل الأول فيما ورد في فضلهما ١٨١

الفصل الثاني في بيان أن سبهما كبيرة ١٩٤

الفصل الثالث حكم سابّ الشيخين ١٩٦

فائدة نفيسة نختم بها الكتاب ٢٠٠

فهرس المحتويات ٢٠٣